مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 17، العدد 01، 15 جانفي 2021، ص ص137-164

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

إثنوغرافيا الكلام في اللسانيات الأنثروبولوجية بين اللغة والثقافة والدين

Ethnography of speech in Anthropological Linguistics Between language, culture and religion

د. واكي راضية *

جامعة الجلفة–الجزائر–

ouakkiradiaouakki@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/07/25 تاريخ القبول: 2020/08/29

ملخص:

لقد أدّى الدرس اللساني الأنثروبولوجي بتراكمه الضخم إلى تأثيرات قويّة فعّالة في جملة من المفاهيم الأساسية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، فأعادت النظر الفكري والمنهجي في جملة من المسائل الجوهرية فيما تتعلّق بـ " إنسانية الإنسان " أهمّها اللّغة، الثقافة، الدين، فاستعارت الأنثروبولوجيا الثقافية التي تُعرف بـ " إثنوغرافيا الكلام / التواصل " من المنهج السيميائي بعض المفاهيم وطرائق التحليل التأويلي الذي أضحت به الثقافة فعلا تواصليّا لا تُفهم معانيه ولا تُدرك وظائفه ونتائجه إلاّ من خلال شبكة من الرموز المنتجة للدلالات، وهذا ما جعل من الأفق السيميولوجي داخل الإثنوغرافيا ضرورة أوليّة لفهم العلاقة بين الثقافة واللغة والمجتمع والدين.

الكلمات المفتاحية: إثنوغرافيا الكلام، اللسانيات الأنثروبولوجية، السيميائيات، الثقافة، الدين.

Abstract:

The anthropological linguistic lesson, with its huge accumulation, has led to powerful and effective influences in a number of basic concepts in the human and social sciences. It has revisited the intellectual and methodological consideration of a number of fundamental issues related to ‘‘human humanity’’, the most important of them are language, culture, religion, and borrowed cultural anthropology known as "Ethnography of Speech/ Communication":The semiotic approach includes some concepts and methods of interpretative analysis in which culture has become a communicative fact that does not understand its meanings and does not understand its functions and results except through a network of symbols producing indications, and this is what made the semiotic horizon within

* **المؤلف المرسل**: د. واكي راضية، **الايميل**: ouakkiradiaouakki@gmail.com

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

the ethnography a primary necessity to understand the relationship between culture Language, society and religion.

Keywords: anthropological linguistics; semiotic; ethnography of speech; culture; religion.

مقدمة:

لقد ألحّت السيميائيات (Semiotics) الحديثة على أنّ التواصل هو الوجه العملي لجميع أنظمة الترميز، وقد ارتكزت على التداوليات الفلسفية في مساءلة الفعل، فكان تجاوز الميتافيزيقا هو الإنجاز الفينومولوجي الذي حصله الطرح الجديد للسانيات الأنثروبولوجية الباحث في إنسانية الإنسان عبر فكره ولغته وعمله، وقد تجلّى عبر هذه الحال الفكرية مراجعات عديدة، وكان أهمها القطع مع الحقائق المقدّسة المسبقة.

إن هدفنا يرمي إلى دراسة مجموعة من المحاور في إثنوغرافيا الكلام مما يتعلق بأصول المناهج اللسانية والمناهج السيميائية وارتباطها بالأنثروبولوجيا، وهكذا سنعمد إلى متابعة موضوعنا بين مناهج علم اللسانيات الحديث، سيميائيات التأويل ومناهج الأنثروبولوجيا الثقافية التي لم تعد محصورة في دراسة الإنسان البدائي وشعائره وطقوسه وعلاقات القرابة والأسرة عند المجتمعات البدائية. بل **في كيفية صناعة الإنسان للثقافة وتعامله مع أنساقها اللغوية والدينية؛ هل نتعامل مع الثقافة باعتبارها نسقا مستقلا بذاته، دون الالتفات إلى الفضاء الاجتماعي، اللغوي والديني؟ أم من خلال النظر إلى جانبها التطوري والوظيفي والبنيوي ؟، أم من خلال الكشف عن نظام الرموز اللغوية والمفاهيم والمعاني الدينية ودورها في تشكل الوقائع الاجتماعية والثقافية ؟**

أولا: اللسانيات الأنثروبولوجية:

1 تعريف- الأنثروبولوجيا(anthropology):

تعتبر الأنثروبولوجيا أحد الفروع العلمية التي تثير إشكاليات سواء على مستوى الموضوعات والمناهج المتبعة أو على مستوى المجال والميدان الذي تبحثه. فالأنثروبولوجيا التي تعني اصطلاحا " علم الإنسان تتصف بالاتساع والتشعب، كما تمثّل نقطة اتصال بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية" (الزواوي باغورة، 2001م، ص 25).

بدأت الأنثروبولوجيا (anthropology) بدراسة المجتمعات البدائية، أو بالأحرى غير الغربية، بخلاف علم الاجتماع (sociology) الذي اتجه نحو دراسة المجتمعات الغربية، لذلك تعرف الأنثروبولوجيا بأنها: "دراسة الجماعات البشرية الفطرية أو التي لا تزال أقرب إلى الفطرة، من حيث الأنثروبولوجيا الفيزيقية، أو من حيث كونها كائنات ذات عقل وثقافة". (إبراهيم مدكور وآخرون، 1983م، مادة (أنثروبولوجيا)).

فهي تركّز على الجوانب الثقافية في دراسة المجتمعات غير الغربية للتعرف على عاداتها وتقاليدها وطرق تعاملها في بناء المجتمع. ومن هنا يظهر الاختلاف بين علم الاجتماع والأنثروبولوجيا في أن الأول يتعامل مع مجتمع معروف لديه مسبقاً، أما الأنثروبولوجيا فهي تدرس مجتمعات مجهولة عنها في جوانب متعددة (جوردن مارشال ، 2007م، مادة (الأنثروبولوجيا الاجتماعية)) ، لذلك اهتمّ الأنثروبولوجيون بدراسة اللغات والثقافات في المجتمعات البدائية وتصنيفات الأسر وعلاقات القرابة والعقائد والطقوس.

نشأت الأنثروبولوجيا بسبب الرحلات الاستكشافية التي جعلت العالم الغربي يطلع على حضارات وثقافات أخرى؛ ونتيجة حب الاستطلاع على " الثقافات الأخرى التي وصفها المستكشفون والتجار وأعضاء البعثات التبشيرية منذ أواخر القرن الخامس عشر فصاعداً. وقد برزت كدراسة علمية منظمة منذ منتصف القرن التاسع عشر، حيث تأسست الجمعيات العلمية في كل من فرنسا والولايات المتحدة وانجلترا وألمانيا " (جوردن مارشال ، 2007م، مادة (الأنثروبولوجيا)) ، وقد سادت النظرية التطورية في مناهج الأنثروبولوجيا من أجل وضع قوانين للتطور الاجتماعي وفهم آليات صناعة التاريخ.

وهذا الفهم يشير إلى أن دراسة الأنثروبولوجيا لم تكن نظرية مجردة بل التزمت بالبحث الميداني بدراسة وقائع قائمة والإفادة من نتائجها في جانبين؛ الأول في تحسين فاعلية المجتمع الغربي وتطويره، والثاني في تطوير استراتيجيات الاستعمار الغربي.

أما علاقة علم اللغة بالأنثروبولوجيا اللسانية فوارد بكثرة في اللسانيات التطبيقية حيث تعتمد هذه الأخيرة على البحث الميداني في دراسة الخطاب الاجتماعي في تحديد طبيعة اللغة وأثرها على مستخدميها، فالباحث الأنثروبولوجي يجمع مادته من المجتمع وليس من المعاجم. لذلك تهتم الدراسات الأنثروبولوجية بدراسة اللغة بوصفها ممارسة ثقافية ميدانية تنتجها الظروف المحيطة بها، وعلى هذا فهي تدرس اللغات المنطوقة، " ولا يهتم اللغوي الأنثروبولوجي إلا بشكل جزئي فقط بالدراسات التاريخية

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

والوصفية للغات، ومن موضوعات الاهتمام البارزة والآخذة في الازدهار علاقة اللغة بجوانب الثقافة الأخرى ـ كعلاقتها بالتنظيم الاجتماعي مثلاً ـ وكذلك الدور المتميّز المحدد الذي تلعبه اللغة في المجتمع. وهكذا يمكن أن نقول ـ بعبارة أخرى ـ إن اللغوي الأنثروبولوجي لا يدرس اللغات في ذاتها فحسب، وإنما في علاقتها بالبيئة الاجتماعية والثقافية التي تحتضنها"(محمد الجوهري ، 1980م، ص19).

2 –تعريف اللسانيات الأنثروبولوجية (Anthropological Linguistics):

يقودنا الحديث هنا إلى مصطلح " اللسانيات الأنثروبولوجية " أو "الأنثروبولوجيا اللغوية" التي تعرف بأنها دراسة متعددة التخصصات حول كيفية تأثير اللغة في الحياة الاجتماعية، فهي فرع من فروع الأنثروبولوجيا (علم الإنسان) الذي جاء من محاولة لتوثيق اللغات المهددة بالانقراض، كما تركز على الدراسات النظرية لاستخدام اللغة والقضايا المتعلقة بالمجالات الفرعية الأخرى باستخدام أدوات البحث اللغوية.

مصطلح الأنثروبولوجيا اللسانية نشأ مع اللسانيات التطبيقية " وظهرت مجموعات ثقافية شكَّلت أبنية اجتماعية جديدة لا تنتمي إلى عرق أو بيئة محددة، لذلك لا بدَّ من النظر في التركيبات المعقدة للمجتمع المعاصر عند دراسة الأدب واللغة، لأنهما نتاج تركيب غير عادي، وربما تحولت فنتازيا الصورة الشعرية والأدب العجائبي إلى واقع نعيشه ونمارسه ونشاهده كل يوم حتى فَقَدَ القارئ المعاصر الإحساس بالدهشة " (محمد جاسم جبارة، 2016، ص51).

على أساس العلاقة بين اللّغة والثقافة عرّف اللّغويون اللّسانيات الأنثروبولوجية (Anthropological Linguistics) بأنّه " العلم الذي يدرس اللّغة وعلاقتها بالبيئة الثقافية التي تنشأ فيها، والدور المميّز الذي تقوم به كوعاء للثقافة، ودراسة تجارب الجماعة اللّغوية بخصائصها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والمعجمية، والتي تظهر في المناسبات الاجتماعية والثقافية الخاصة، كالاحتفالات وممارسة الشعائر الدينية والشعائر الخاصة بالزواج والميلاد والوفاة وعلاقة ذلك كلّه بمعتقدات المجتمع وأفكاره " (نور الهدى لوشن، 2001م، ص160) .

جميع النقاد الحداثيين الغربيين حرصوا على دراسة المعنى من خلال دراستهم للغة، وهم لم يخرجوا عن موروثهم الفلسفي والفني ، لم يغفل الأنثروبولوجي الأمريكي مايكل سلفرشتاين Michael Silverstein نظرية المعنى وأهمية السياق خلال دراسة اللغويات الأنثروبولوجية حيث اعتبرها " دراسة السلوك الكلامي كما يقره المجتمع. ولكي يُفسر علماء الأنثربولوجية السلوك الاجتماعي فإنّهم يلجأون إلى

نظام معرفي يسمى " الثقافة "، في حين يرجع اللّغويون إلى نظام معرفي يسمى "القواعد" (...)"لا يظهر كل من القواعد والثقافة إلا في المجتمع فقط وهذا يتضمن أن اللغوي الأنثروبولوجي يحتاج لربط طرق كلام مجموعات محددة بعوامل ثقافية مناظرة حتى يتم الحصول على المعنى ويتضمن هذا أيضاً ضرورة فهم اللغوي الكامل لـ "وظيفة" الأشكال الكلامية التي يحلّل أنماطها القواعدية " (إيدجر س بلوم: (د، ت)، ص660).

3 –علاقة الأنثروبولوجيا باللسانيات:

انطلقت اللسانيات الأمريكية من الأنثروبولوجيا والدراسات الحقلية التي اهتمت بتدوين وتصنيف اللغات الهندية الأمريكية المتناثرة في الولايات المتحدة الأمريكية خشية انقراض هذه اللغات التي تستعملها بعض الأقليات، وبرز أربع باحثين قاموا بارساء دعائم اللسانيات الأمريكية على الأقل ثلاث منهم أنثروبولوجيون خُلّص وهم: إدوارد سابير ـ وورف ـ فرانز بواز ـ ليونارد بلومفيلد، ويرى " بواز" انطلاقا من نظرته للثقافة أن الأنثروبولوجيا ليست فرعا من المجتمع وليست وليدة الظروف أو العوامل المادية، بل هي محاولة لفهم ووصف مظاهر الثقافة مفتاحها اللّغة. (جيفري سامبسون ، 1993م، ص61–62).

تعتبر اللّغة " الباب الذي يلج منه الأنثروبولوجي إلى داخل المجتمع الذي يدرسه " (كريم زكي حسام الدين ، 2001م، ص27) ، واعتمدت الأنثروبولوجيا منذ بداياتها اللّغة محورا أساسيا في تفسير الظواهر الاجتماعية والثقافية أثناء الدراسة، ولجأ دارسوها إلى " الاستفادة من معطيات علم اللّغة في الدراسات الأنثروبولوجية ". (كريم زكي حسام الدين،2001م ، ص 72).

إن ظهور المدرسة الأمريكية إلى الوجود، وإسهاماتها في الدرس اللغوي ارتبط ارتباطا وثيقا بعلم الأثروبولوجيا وهو علم الإنسان بوصفه كائنا ثقافيا من الجوانب السلوكية والاجتماعية واللغوية والشعائرية والثقافية عامة. خاصة فيما يُعرف بـ (الأنثروبولوجيا الثقافية)(anthropologie culturelle) التي تعني دراسة الثقافة البشرية تحديدا، وهي تختلف عن الإثنولوجيا (ethnologie) التي هي دراسة مقارنة للثقافة ذات طابع اجتماعي وتاريخي وديني وجوانب سيكولوجية معينة.

اللسانيات كفيلة بدراسة ووصف الأنماط الكلامية المنطوقة لأنها تسمح للأنثروبولوجي بإعادة تكوين تاريخ المجتمعات التي لا تعرف الكتابة ؛ أي" دراسة المجتمعات البدائية ، التي كان يقال عنها أنها لم تعرف الكتابة ، ولم يتم فيها استعمال الآلة " (لومبار جاك ، 1997م، ص9).

إنّ معاينة اللغة المنطوقة لهذه الفئة من المجتمع في أمريكا، أوجد اهتماما واعيا لدى نفر غير قليل من الدارسين بالخصائص الإنسانية في الأنظمة التواصلية لدى الجماعات البشرية، وخاصة الجماعات التي تنعت عادة بالبدائية أو الفطرية ، وقد أولع هؤلاء الدارسون إيلاعا شديدا بالنموذج اللغوي وعلاقته بثقافة مجتمع معين، باعتبار أن الثقافة هي الحصيلة الشاملة للتقاليد والعادات والأعراف ونمط الحياة لطائفة اجتماعية تتميز بخصوصيات حضارية معينة .

ولما كانت اللغة جزءا من ثقافة أي مجتمع من المجتمعات فقد كان من الطبيعي أن تكون " دراسة اللغة أحد فروع الأنثروبولوجيا بل أكثرها أهمية، لأن اللغة أداة فعالة لفهم طبائع المجتمعات الإنسانية من ناحية كما أنها تعكس بوضوح أفكار هذه المجتمعات ومعتقداتها من الناحية الأخرى (...) يهتم علم اللسانيات الأنثروبولوجية بدراسة اللغة وعلاقتها بالبيئية الثقافية التي تنشا فيها والدور المميز التي تقوم به كوعاء للثقافة " (سامي عياد حنا وآخران،1997م، ص6).

ثانيا: إثنوغرافيا الكلام ونظرية التخاطب التداولية:

1 -الإثنيات الدينية بين الإثنوغرافيا واللسانيات الإثنولوجية:

1-1 الإثنيات الدينية: بشكل عام، تحدد المجتمعات الإثنية الدينية هويتها العرقية، ليس فقط من خلال تراث الأسلاف أو من خلال الانتماء الديني فقط، ولكن من خلال مزيج من الاثنين. تمتلك المجموعة الإثنية الدينية تاريخاً مشتركاً وتقاليداً ثقافية – يُمكن تعريفها على أنها دينية – خاصةً بها. في العديد من الحالات، تكون المجموعات الإثنية الدينية مجموعات إثنية وثقافية ذات دين عرقي تقليدي. في حالات أخرى، تبدأ الجماعات الإثنية الدينية كطوائف يوحّدها إيمان مشترك، والذي من خلال الزواج داخل المجموعة تطورت العلاقات الثقافية والأسلاف .يمكن أن تختلف المهمة القانونية ما هي المجموعة الإثنية المعينة عن التعريف المذكور أعلاه.

منذ الستينات أصبح اللفظ يستخدم للدلالة على جماعة بشرية يشترك أفرادها في العادات والتقاليد واللغة والدين وآي سمات أخرى مميزة كالأصل والملامح الفيزيقية الجسمانية، وتعيش في إطار مجتمع واحد جماعة أو جماعات أخرى تختلف عنها في إحدى أو بعض هذه السمات .فهو مصطلح يشير إلى جماعة لا تعرف بالنظر إلي المؤسسات السياسية، ولكن بالنظر إلى علاقات الدين أو اللغة أو الروابط الإقليمية السائدة بين أعضائها .تشير الموسوعة البريطانية للجماعة العرقية أو الإثنية إلي أنها جماعة اجتماعية أو فئة

من الأفراد في إطار مجتمع اكبر تجمعهم روابط مشتركة من العرق واللغة ،والروابط القومية أو الثقافية .لكن هناك تعريفات أخرى ترتكز على علاقات القوة في المجتمع ،فترى الجماعة الإثنية على أنها تلك الجماعة التي تعرف نفسها وتعرف من جانب الآخرين على أساس أنها حائزة لمقومات ثقافية مختلفة عن الجماعات المسيطرة، الأمر الذي يؤثر في حقوقها في المساواة السياسية والاجتماعية الاقتصادية في محيطها الأشمل(عبد الحافظ أحمد، 2005م، ص 31).

من خلال التعاريف السابقة، يمكن القول بأن الإثنية تعني جماعة متميزة عن الجماعة الأكبر فيزيولوجيا (السلالة والعرق والمميزات الجسدية كالشكل واللون...)، وثقافيا (اللغة والدين والتاريخ المشترك والثقافة الواحدة والهوية المشتركة)، وقد تجتمع كل هذه المعايير لتحقق أكبر درجة من الولاء للجماعة الرئيسية.

1-2 اللسانيات الإثنولوجية: هي علم اللّغة العرقي أو السلالي تسمى أحيانا **اللغويات الثقافية** ؛ وهي مجال لغويات تدرس العلاقة بين اللغة والثقافة، والطريقة التي تنظر بها المجموعات الإثنية المختلفة إلى العالم هذا هو الجمع بين الإثنولوجيا وعلم اللغة. ويشير الأول إلى طريقة حياة مجتمع بأكمله، أي جميع الخصائص التي تميز مجتمع ما عن الآخر. هذه الخصائص تصنع الجوانب الثقافية لمجتمع ما.

يدرس علم اللغة الإثنية طريقة تأثير التصور والإدراك على اللغة، وتبين كيف يرتبط هذا إلى مختلف الثقافات والمجتمعات. ومن الأمثلة على ذلك طريقة التعبير عن التوجه المكاني في مختلف الثقافات. في العديد من المجتمعات، تستمد كلمات الاتجاهات السماوية الشرقية والغربية من حيث شروق الشمس / غروب الشمس. ومع ذلك، فإن التسميات الخاصة بالاتجاهات السماوية للمتحدثين في إنويت في غرينلاند تستند إلى معالم جغرافية مثل نظام النهر وموقف المرء على الساحل. وبالمثل، فإن لغة يوروك تفتقر إلى فكرة الاتجاهات الأساسية؛ وهم يوجهون أنفسهم فيما يتعلق بسماتهم الجغرافية الرئيسية، نهر كلاماث.

1-3 اللغويات الثقافية: هي فرع ذات الصلة من اللغويات التي تستكشف العلاقة بين المفاهيم اللغوية والثقافية، تعتمد اللغويات الثقافية على التقدم النظري والتحليلي في العلوم المعرفية (بما في ذلك علم التعقيد والتوزيع الموزع) والأنثروبولوجيا. تدرس اللغويات الثقافية كيف تتعدد سمات اللغات البشرية ترميز المفاهيم الثقافية، بما في ذلك المخططات الثقافية والفئات الثقافية والاستعارات الثقافية. في اللغويات الثقافية، واللغة ينظر إليها على أنها راسخة عميقا في المستوى الجماعي، والإدراك الثقافي لمجتمعات

المتكلمين. حتى الآن، اعتمد نهج اللغويات الثقافية في العديد من مجالات **البحوث اللغوية التطبيقية**، بما في ذلك التواصل بين الثقافات، تعلم اللغة الثانية، تدريس اللغة الإنجليزية كلغة دولية، واللغات الإنجليزية العالمية.

اللسانيات العرقية Ethno Linguistics وهي نظريّة للعلاقات بين الأنماط اللّغوية والأنماط الثقافية وضع أساسَها إدوارد سابير Edward Sapir في سنينه الأخيرة في الولايات المتحدة يرى الأنثروبولوجي إدوارد سابير أن اللغة تعتبر دليلًا للواقع الاجتماعي، حيث تصيغ بقوة شديدة طُرق تفكيرنا في تسيير أمور المجتمع وحل مشاكله. ولا يمكن أن تتطابق لغتان بشكل تام بسبب اختلاف التمثلات الثقافية التي تعبر عنها. يشير سابير أيضًا إلى مسألة مثيرة للانتباه، وهي أن عالمَ كلَ مجتمعٍ هو عالمٌ مختلفٌ تمامًا عن الآخر نظرًا لاختلاف اللغات. يقصد سابير هنا أن الاختلاف اللغوي يصنع عوالم مغايرة، أي ليس عالما واحدًا بتسميات مختلفة، إنما عالمٍ تكون فيه تصورات الناس عن عالمهم ومقارباتهم له فريدة متباينة، أي أنهم لا يرون العالم بالطريقة نفسها .

2- إثنوغرافيا الكلام (Ethnography of speatch):

2-1 الإثنوغرافيا (Ethnography): تعني " الدراسة الوصفية لأسلوب الحياة ومجموعة التقاليد والعادات والقيم والأدوات والفنون والمأثورات الشعبية لدى جماعة معينة أو مجتمع معين خلال فترة زمنية معينة . "وتسمى أيضا بـ"علم الإنسان الوصفي"، ويسعى هذا العلم إلى اعتماد منهج البحث الوصفي أو منهج المسح معتمدا على الملاحظة المباشرة والمشاركة أحيانا، وموجها عنايته للثقافات الإنسانية والظواهر الاجتماعية بالوصف الدقيق. وكان الكثير من المستكشفين المسلمين (ابن بطوطة مثلا) والأوربيون (مثل كريستوف كولومبوس)، قد اعتمدوا على هذا المنهج وأسسوا لهذا العلم تلقائيا، وتعتمد الإثنوغرافيا الحديثة على المنهج العلمي الذي يتحرى الدقة من أجل الوصول إلى الحقيقة (عبد السلام إبراهيم بغدادي،1993م، ص94) .

تبلور نشاط الإثنوغرافيا من تراكم المدونات الوصفية المستمد من الرحلات الاستكشافية سواء في أوروبا أو أمريكا، ومنه الإثنوغرافيا هي الإثنولوجيا الوصفية أي ملاحظة وتسجيل المادة الثقافية. أمّا بداية ارتسام طريق أنثروبولوجيا الاتصال/ إثنوغرافيا الكلام/ إثنوغرافيا الجديدة من الناحية الأكاديمية، فكان سنة 1962من الولايات المتحدة الأمريكية، حيث تأسس مجال بحثي جديد في الأنثروبولوجيا الأمريكية، مجال

بحثي اهتم بدراسة الكلام كظاهرة ثقافية فقط، فقد كان مقال Hymes Dell في السنة ذاتها حول إثنوغرافيا الكلام ميلادا نظريا لما أصبح يعرف سنة 1964بأنثروبولوجيا الاتصال.(رضوان بوجمعة،2007م، ص 96).

اتخذت إثنوغرافيا الكلام / الاتصال من الأنثروبولوجيا واللسانيات مصدرا لها، ومن أبرز مؤسسيها في الدراسات اللغوية ديل هايمز والذي تبنّى هذا الأسلوب على أساس أن ينظر إلى قاعدة عريضة من السلوك الاتصالي، وعلى أن يكون أكثر انفتاحا من النظريات والأساليب الأخرى في اكتشاف أشكال ووظائف متعدّدة للاتصال وكيف أنّ تلك الأشكال والوظائف تشكل جزءاً لطرق مختلفة من الحياة، يقول هيمز:

" إنّ إثنوغرافيا الاتصال لا تعتمد على نتائج منفصلة من اللسانيات أو علم النفس أو الاجتماع أو الإثنوغرافيا أو تحاول أن تربط بين تلك النتائج " لكنها تحاول أن تفتح آفاق تحليل جديدة عن طريق اكتشاف انواع جديدة من إعادة وإبراز أسئلة مختلفة. (محمد عضاضي، 1995م، ص65).

لقد اقترح الأنثروبولوجي و عالم اللسانيات ديل هايمز Dell Hymes برنامجا واسعا من الأبحاث حول العلاقات بين اللغة و المجتمع، أطلق على هذا البرنامج اسم :"اثنوغرافيا الاتصال"، وكان هدف Hymesهو دفع علماء الأنثروبولوجيا نحو اعتبار اللغة والأشكال الأخرى للاتصال الشخصي كظاهرة ثقافية أساسية . في سنة 1966وبجامعة Pennsylvanie بالولايات المتحدة الأمريكية، تأسست مجموعة عمل بقيادة Hymes للقيام بدراسة مقارنة حول " دور الكلام في مجتمعات مختلفة" ،(وكان هدف مشروعه طموحا جدا، يتمثل في جمع كل المعطيات الإثنوغرافية الخاصة بالسلوكيات اللفظية بغية صياغة جدول أولي مقارن، يعطي للتخصص الجديد اتجاهاته البحثية، وكانت نتيجة هذا العمل وثيقة تم نشرها في مجلة Texas working. papers وكل هذه الجهود أثمرت بصياغة نموذج الخطاب أو الكلام أعطى نظرة عن الأدوات التي تمكن الباحث من الانتباه للقواعد و الأفعال والإطار و غيرها من المكونات التي تصنع نسقا ثقافيا للاتصال.

2-2 نموذج إثنولوجيا الكلام Speaking لـ Hymes Dell: إقترح Dell Hymes نموذج Speakingو الذي حدد له كهدف، تزويد الباحثين بإطار وصفي ومنهجي الذي يأخذ بعين الاعتبار التغير والتقلب الثقافي لأنساق الاتصال، والذي يسمح بمقارنة دور الكلام في مجتمعات مختلفة، ويحتوي هذا النموذج على ثمانية مكونات حددها فيما يلي:

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

- ✓ **السياق**:setting :وحدده في مكان، و وقت و أجواء الاتصال.
- ✓ **المشاركون** : Participants :كل المشاركين سواء أكانوا قد أخذوا الكلمة أو لا .
- ✓ **الغايات**: Ends : ويقصد به هدف و نتاج اللقاء .
- ✓ **الأفعال أو المنتوج** : Acts:ويقصد به الرسائل في حد ذاتها، في موضوعها و في شكلها.
- ✓ **النبرة** : Keys:الخصائص البروزودية للرسائل أي نبرات الرسائل.
- ✓ **الوسائل والأدوات**: Instrumentalities:ويقصد بها وسائل الاتصال، وتتضمن الوسائط والقنوات– اللغة المنطوقة، المغناة، المكتوب، المناورة، والمدونات–لغات، لهجات، و مستويات اللغة.
- ✓ **المعايير**: Norms: معايير التفاعل التي تضبط أخذ الكلمة و توزيعها، وقواعد و معايير التأويل التي تأخذ بعين الاعتبار الخلفيات والاختلافات الاجتماعية والثقافية.(رضوان بوجمعة،2007م، ص102)

دراسة الاتصال كظاهرة ثقافية أساسية، مشروع، بدأت تتحقق بعض معالمه في بداية السبعينيات مع السيميائيات التأويلية، حيث بدأت تتوسع النظرة إلى أنثروبولوجيا الاتصال، لتتحرر من الانشغال اللغوي الذي كان منطلق بداية هذا العلم، على دراسة كل السلوكيات والوضعيات والأشياء الموجودة عند جماعة معينة على أساس أنها لها قيمة اتصالية Joel Sherzer .الذي يعتبر من أوائل طلبة Dell Hymes، كان في انتقاداته لأستاذه قد وضع أسسا أخرى وأفاقا لمحتوى الدراسات الانثروبولوجية للانتقال بأنثروبولوجيا الاتصال إلى رحلة جديدة، حيث أكد أن هذه الدراسات من الضروري أن يتم الالتزام فيها بوصف ما يأتي :

- ✓ السبل والوسائل الاتصالية للجماعات والمجتمعات .
- ✓ استعمال هذه السبل والوسائل.
- ✓ العلاقات المتبادلة بين السبل والوسائل وأنواع الخطابات وأنواع التفاعل الاجتماعي .
- ✓ العلاقة بين صيغ وطرق الاتصال وباقي المجالات الثقافية والتنظيم الاجتماعي، والسياسي والاقتصادي والدين (رضوان بوجمعة، 2007م، ص103)

تعتبر مساهمة غمبرز (Jhon . j. Gumperz) في اللسانيات الاجتماعية الإثنولوجية مهمّة جدّا في إثنولوجيا الاتصال؛ " حيث قام بتحليل التفاعلات اللّغوية في اتجاه واعد بشكل خاص، وقد تأثّر هذا

الباحث الأمريكي عميق التأثّر بمدرسة بالو ألتو و هوفمان، وبالمنهجية الإثنولوجية (وعبرها بمدرسة شيكاغو) من جهة، كما تأثّر من جهة أخرى باللّسانيات الاجتماعية لابوف(W. lapov) وبالإثنولوجيا اللسانية سابير (E. sapir). وشهدت أعمال غمبرز المنشورة في الولايات المتحدة منذ السبعينات القرن العشرين، أصداء واسعة ابتداءا من الثمانينات، والخلاصة التي خرج بها من هذه التيارات العلمية المختلفة تسمّى " (صابر حباشة، 2008م، ص129-130) [لسانيات اجتماعية تفاعلية] أو كما يقول غمبرز هي " مقربة تأويلية للمحادثة " وهي صميم المقاربة الإثنوغرافية الجديدة، التي كانت إيذانا بعهد جديد تسوده المناهج التأويلية المستمدة من نظرية التخاطب التداولية التي تهتم بدراسة الكلام في سياق الاستعمال والمستمدة من السيميائيات وما ما تدرسه من أنساق رمزية منتجة للدلالات والمعاني.

يتميّز التحليل اللساني في إثنوغرافيا الكلام بالإجابة عن التساؤلات التالية:

- كيف تُسهم هذه الاختيارات في استراتيجيات التفاعل؛
- كيف تنشئ هذه الاختيارات أُطرا ثقافية لتأويل الملفوظات؛
- فيما تعدُّ هذه الاختيارات دالة؛
- أي الاستدلالات تتأسس على المؤشرات، وأيّ المؤشرات تقع؛
- كيف تشتغل توجيهات التفاعل في الحالة المتواترة للاتصالات بين متصلين ينتمون إلى مجموعات لسانية إثنولوجية ولسانية اجتماعية مختلفة؟(صابر حباشة، 2008م، ص 130).

ثالثا: علاقة اللغة بالدين في المدارس الأنثروبولوجية:

1- الأنثروبولوجية التطورية التاريخية:

يمثلها ماكس مولر(Max Muller) **و أرنيست كاسيرر**(Ernest Cassirer)

انطلق علماء الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا في هذا الاتجاه من نظريات كانط، داروين، وسبنسر فوضعوا مخططات لنمو الثقافة واللّغة منها : التطور الواحدي، التطور العام، التطور التعدّدي، " وقد ركّزوا جلّ اهتمامهم على موضوعات معيّنة مثل النسب والعائلة والدين (desent, family, religion) كما آمنوا بالتطوّر المتوازي المستند إلى وحدة النفس البشرية "(شاكر مصطفى سليم، 1981م، ص318-319) لذلك استندوا في الدراسات اللغوية على الدراسات التطورية للغة فيما يُعرف بـ (اللسانيات التاريخية المقارنة) والتي اهتمت بعلم الفيلولوجيا (فقه اللغة) والبحث عن علاقات القرابة بين

اللغات والعائلات اللّغوية وأسقطوا هذه الدراسات الفيلولوحية على دراسة الميثيولوجيا الدينية القديمة ممثلة في الأساطير وسنأخذ نموذجين عن علاقة اللّغة بالأسطورة؛ الأول لماكس مولر والثاني لأرنيست كاسيرر.

اعتمد ماكس مولر الجهاز اللّساني لتحليل الأساطير وتفسيرها فأكّد أنّ الأسطورة تلازم اللغة حيث تعتبر الميثيولوجيا هي السلطة التي تمارسها اللغة على الفكر في النطاقات كلّها الممكنة للفاعلية الروحية؛ فالصلة التي تجمع بينهما هي الاستعارة التي توجّه من طريق تجذرها في ماهية وظيفة اللغة (فؤاد مروخ، 2017م، ص89).

لقد ميّز ماكس مولر اللّغة عن الأسطورة والفكر الديني وعدّها المنبع الذي يصدر عنه هذان النمطان الإبداعيان؛ ففي اللّغة تكمن جذور الأسطورة والدين فمثلا أسطورة (دافني) الواردة في كتاب الفيدا للديانات الهندوسية التي ينقذها من أحضان (أبولو) كونها أمّها الأرض تحوّلها إلى شجرة غار يستعين بالجذور الاشتقاقية للغة السنسكريتية من أجل تفسير هذه الأسطورة حيث أن تاريخ اللغة الفيلولوجي هو من يجعل الأسطورة قابلة للفهم بإرجاع دافني إلى جذورها الأم وهي كلمة (أهانا) السنسكريتية وهي حمرة الفجر، وهذه الصورة الاستعارية بالنسبة إلى ماكس مولر وصف ما يلحظه المرء كلّ يوم بظهور الفجر ثمّ ارتفاع إله الشمس ثمّ التلاشي التدريجي للشفق الأحمر واختفاؤه في حضن الأرض الأم. يقول ماكس مولر:" الميثيولوجيا في أرقى معانيها هي القوّة التي تمارسها اللغة على الفكر في جميع المناطق الممكنة للفاعلية العقلية " (أرنيست كاسيرر، 2009م، ص25).

" كاسيرر كان أول فيلسوف كانطي يتطلّع إلى (نظرية المعرفة) باعتبارها دراسة الفاعلية العقلية التي تقوم على الأشكال اللغوية بقدر ما تقوم على المقولات المنطقية "(أرنيست كاسيرر، 2009م، ص8).

ترى سوزان لانغر " أنّ الموجّه المعرفي الذي قاد خطى كاسيرر هو إدراكه أنّ اللّغة التي هي أداة الإنسان الأولى إلى العقلنة والتفكير العقلي؛ فاللّغة التي هي ترميز للفكر، تعرض نمطين مختلفين، أحدهما المنطق الاستدلالي الاستطرادي، والآخر الخيال الإبداعي " (أرنيست كاسيرر، 2009م، ص10).

ومن خلال الرموز أو المفاهيم اللغوية عند كاسيرر لا يتم عقد التمييزات فحسب، ولكن يتم تثبيتها في الشعور والوعي أيضًا، فما خلقه الذهن وما اصطفاه من عالم الوعي، لا يتلاشى حين تَسِمه الكلمة المنطوقة وتُضفي عليه شكلًا محددًا. فالتعرف على الوظيفة يسبق التعرف على الوجود، ويتم تمييز مظاهر الوجود وتنظيمها من خلال ما يوفره الفعل، فنجد في اللغات التي تُسمى بدائية؛ ما يدعم المبدأ القائل

«إن نسق الألقاب لا يعتمد على المشابهات الخارجية بين الأشياء والأحداث»، فمن الممكن أن نجد أشياء مختلفة تحمل الاسم نفسه، وتُدرج تحت المفهوم نفسه، لأنها تتمتع بالدلالة «الوظيفية» نفسها. فنجد عند بعض القبائل الهندية كلمة واحدة بعينها لـ «الرقص» و«العمل»، فما دام الرقص والعمل يؤديان في الجوهر الغرض نفسه؛ في توفير سبل العيش والرزق فإنهما ينصهران في مفهوم لغوي واحد.

إنّ دراسة الأشكال الرمزية ومنها العقائدية الدينية تقدم مفتاحا لأشكال التصوّر الإنساني ويرى أنّ أقدم هذه الأنماط هو [اللغة والأسطورة].

أولى كاسيرر اللغة أهمية لم تكن تحظى بها من قبل؛ فاللّغة هي الأداة الأولى ليس لصنع الأساطير والأخيلة الشعرية والأديان فحسب بل هي الأداة الأولى للتفكير المنطقي، " وبالتالي فإنّ أيّ نظرية معرفية لا بدّ من أن تولي الخيال المكوّن للأساطير من العناية بقدر ما تولي المنطق والمفاهيم المعرفية النسقية "(أرنيست كاسيرر، 2009م، ص10)، إنّ ارتقاء الأفكار الدينية على نحو يماثل تشكيل الأساطير اللغوية، وهوما سماه (سحر اللغة) أو (مبدأ الكلمة) "(أرنيست كاسيرر، 2009م، ص87)؛ أي تطابق الدال والمدلول في الاستعمال الأسطوري والشعري للّغة، فمثلا الاستعارات اللّغوية تنمو بالطريقة نفسها التي تنمو بها الآلهة لدى مختلف الشعوب، فكلّ الديانات القديمة يؤمن بقوّة الاستعارة، فكل من التفكير الديني والشعري ينتمي إلى التفكير الاستعاري الذي يعتمد الاشتداد بانصرافه نحو الكيف والتكثيف وإبراز دور الأجزاء "(أرنيست كاسيرر، 2009م، ص151).

2- الأنثروبولوجية الانتشارية النسبية:

وتمثلها أفكار إدوارد سابير (Edward sapir):

رغم أنها منهج تاريخي إلاّ أنها ضد التطورية (Anti évolutionnisme) والتاريخ الواحدي للثقافة مبدؤها الراسخ هو نسبية الثقافة ومحليتها دعت إلى [التعدّد الثقافي] وركّزت على مفهوم [النمط] بدل [الكل] من أهم أعلامها فرانس بواز وإدوارد سابير الذي سنركز على آرائه.

يرى سابير" أنّ البشر لا يعيشون في العالم المادي وحده، ولا في عالم النشاط الاجتماعي بالمفهوم العادي، وإنّما يخضعون إلى النموذج اللّغوي الذي يحدّد التكيّف الاجتماعي في المحيط " (نور الهدى لوشن، 2001م، ص161). إن اللغة تحدد نظرة المجتمع للعالم المحيط بالإنسان الذي ينتمي إلى نمط ثقافي معين، كما أن لها تأثيرا في الطريقة التي يفكر بها أفراد المجتمع الذين يتكلمون لغة متجانسة. ذلك لأنّه "

من الصعب فصل اللّغة عن الثقافة، واستعمال الثقافة هذا بالمعنى الواسع لتدلّ على التصورات والمفاهيم التي تكوّنها المجموعة البشرية عن العالم " (ميشال زكريا، 1983م، ص220).

يقول سابير:« إن فصل اللغة عن الثقافة ليس بالأمر الهين ، بل قد يكون مستحيلا» ومن هنا يستنتج أن « اللسانيين – شاؤوا أم أبوا – يجب أن يصبحوا معنيين أكثر فأكثر بعدد من المشكلات الأنثروبولوجية والاجتماعية والنفسية التي تحتاج حقل اللغة ».

لم يكن (سابير) منشغلا بالأنثروبولوجيا واللسانيات فحسب، بل بالأدب والفن والموسيقى والدين أيضا، ولذا رأى أنه لا ينبغي فصل الدراسة اللغوية عن دراسة باقي عناصر السلوك البشري، وعن علم النفس وعلم الاجتماع، وهذا ما جعله يركز كثيرا على الجانب الإنساني للغة وعلى بعدها الثقافي والإثنولوجي الديني ، وعلى أسبقية الفكر على الإرادة والأحاسيس (أحمد مومن ، 2003م، ص189).

اللغة عند "سابير " هي مؤسسة اجتماعية تختلف باختلاف الشعوب وتحمل وظيفة أساسية هي وظيفة الاتصال، إذ إن هدفها الأساسي هو التعبير عن الأفكار والرغبات والعواطف والمعتقدات ضمن المجموعة البشرية التي تتكلمها. ولا نكاد نعدم الوظائف التي تقوم بها اللغة، ومن الصعب تحديدها ، لأن اللغة جزء من السلوك الإنساني؛ " فاللغة ليست نظاما مرجعيا فحسب " systéme de référence" ولكنها نظام تعبيري أيضا "systéme expressif" إذا يمكننا القول بأن اللغة التي تنتمي إلى مجتمع بشري معين والتي يتكلمها هذا المجتمع ويفكرون بواسطتها هي المنظم "L'organisateur" على حد قول "سابير" لتجربة هذا المجتمع وهي تصوغ بالتالي عالمه وواقعه الحقيقي فكل لغة بكلمة مختصرة تنطوي على رؤية خاصة للعالم " (محمود أحمد السيد ، 1998م، ص43).

من أهم التساؤلات التي طرحها إدوارد سابير: **هل هناك ترابط بين اللغة والعرق والمعتقدات والأخلاق؟** التي هي عبارة عن ترجمة للفصل العاشر (اللغة، العرق والأخلاق) من كتابه: "اللغة، مدخل لدراسة الكلام"، وحاول في كتابه الإجابة عن الإشكالات التالية: هل لكل عرق أخلاقه الخاصة ولغته التي تميزه عن غيره، أم أن بإمكان اللغة، كما هو الحال بالنسبة للأخلاق، أن تتمدد بعيدا عن مهد ولادتها، مكتسحة مجال أعراق جديدة ومجالات تحضر جديدة؟ لقد تناول سابير في كلّ دراساته الميدانية التطبيقية على قبائل الهنود الحمر ما يحمله الشخص من ثقافته سواء في مستوى اللغة أو العادة أو المعتقد أو السلوك داخل النظام الاجتماعي.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

يرى سابير أنّ اللغة دليل للواقع الاجتماعي فالناس يوجدون تحت واقع اللغة الخاصة بهم، والتي أصبحت وسيلتهم للتعبير عن مجتمعهم، بل إننا نلغى أكثر من ذلك أن العالم الواقعي/ الحقيقي هو إلى حد كبير متبنى بطريقة لا الشعورية؛ على أساس عادات الجماعة في استخدام اللغة، ولا توجد أبدا لغتان متشابهتان بدرجة تكفي لاعتبارهما تمثلان نفس الواقع اجتماعي، (عبدالقادر ملوك، 2012م، ص03)، وهذه الفكرة تطورت فيما بعد فيما يُعرف بـ [فرضية وورف وسابير النسبية للغة].

" فنحن نعثر على اصطلاحات لغوية des idiomes بدون أية علاقة ترابطية، داخل شعوب تتقاسم نفس الأخلاق أو لغاتها جد متقاربة (أحيانا لغة واحدة) ترتبط بأنوية حضارية متباينة. نجد، في هذا الإطار، أمثلة جد مؤثرة عند الأهالي في أمريكا الشمالية. فاصطلاحات قبائل Athabaska مثلا، تكون مجموعة ذات وحدة جلية لها انسجام بنيوي لم أر له مثيل، اللذين يتكلمون هذه اللغات ينتمون إلى أربع مجالات حضارية مختلفة: أخلاق قناصي كندا الغربية وداخل الألسكا (loucheux, chipeyan)، أخلاق مربيي الجاموس البري في (Sarcee) الطقوسية المعبر عنها من قبل Navajos و الأخلاق الخاصة بكاليفورنيي الشمال الغربي (hupa) ". (ملوك عبد القادر، 2012م، ص05).

3- الأنثروبولوجية الوظيفية:

ويمثلها برونسلاو مالينوفسكي (Bronislaw Kaspar Malinowski)

يعدّ مالينوفسكي مؤسس الأنثروبولوجيا الاجتماعيّة بناءً على دراساته التي أنجزها حول شعوب المحيط الهادي. وإليه أيضا يعود الفضل في تركيز قواعد الاتجاه الوظيفي. وقد عارض النظريّات التطوّريّة المبكّرة في الأنثروبولوجيا ليؤكّد أهمّيّة التفسيرات الوظيفيّة للظواهر الاجتماعيّة الثقافيّة ويبرز التداخل بين عناصر الثقافة أو النسق الاجتماعي ويبيّن أنّ وظيفة هذا النسق تكمن في العمل على إشباع الحاجات النفسيّة والاجتماعيّة أوّليّة كانت أو ثانويّة أو مشتقة وفق التصنيف الذي اقترحه لها. هذا فضلا عن كونه اختبر نظريّات التحليل النفسي واللّغوي من منظور ثقافي مقارن.

وقد شدّد على تلازمية عناصر الثقافة ومواردها ورفض فصل أي عنصر ثقافي عن بنيته الكلية حيث يقول: " في كلّ ثقافة تؤدي كلّ عادة وكلّ شيء وكلّ فكرة وكلّ معتقد وظيفة حيوية ما وتضطلع بمهمة ما وتمثل جزءًا من الكلية العضوية غير قابل للتعويض " (دنس كرش، 1981م، ص58).

من أهمّ مؤلّفات مالينوفسكي يمكن أن نذكر: "سكان الأرجوناوتس في غرب المحيط الهادي" (1922)، "الجريمة والعرف في المجتمع البدائي" (1926)، "الأسطورة في علم النفس البدائي" (1926)، "الجنس والكبت في المجتمع البدائي" (1927)، "النظريّة العلميّة للثقافة" (1940)، "السحر والعلم والدين" (1948).

وكان يؤكد دائما على بناء نظرية للمعنى، وهي " نظرية أنثرولغوية (...) تكشف عن كيفية تأثّر الأشكال اللّغوية بالعناصر أو المكونات الثقافية للمجتمع " (كريم زكي حسام الدين،2001م ، ص29) في مقاله الشهير (مشكلة المعنى في اللّغات البدائية) المنشور عام 1923م، والذي درس فيه اللّغات البدائية لجزر تروبرياند، وصعبت علية الوصول إلى ترجمة مرضية تؤدى المعنى المقصود دون معرفة سياق المتكلم وأحواله؛ فوظيفة اللغة عنده هي " أسلوب عمل " وليس " توثيق فكر" يحتاج إلى سياق الحال وهو " الموقف الفعلي الذي حدث فيه الكلام، ولكنه يقود إلى نظرة أوسع للسياق تضم الخلفية الثقافية التي وضع الحدث الكلامي بإزائها " (علية عزت عياد، ، 1994م، ص56).

يرى مالينوفسكي " أنّ كثيرا ما نتكلم به لا يقصد به تقديم المعلومات، أو إصدار الأوامر، أو التعبير عن الآمال والرغبات وإثارة العواطف، وإنّما يستعمل لخلق شعور بالتفاهم الاجتماعي والمعاملة " (جون لاينز، 1980م، ص32)؛ وهو بهذا قدم مفهوما جديدا للّغة، وهو سياق المجتمع الذي أنتج اللّغة،" السياق الذي قصده مالينوفسكي هو البنية الطبيعية، أو الواقع الثقافي للمجتمع، ثمّ تطوّر باستعمال فيرث له في دراسته اللّغوية " (محمود السعران، ط2، 1997م، ص310).

حاول برنوسلاف مالينوفسكي أن يضع تعريفا للأسطورة من خلال استخلاص طبيعتها ووظيفتها في المجتمعات البدائية:«ليست الأسطورة تفسيرا يراد منه تلبية فضول علمي، بل هي حكاية تعيد الحياة إلى حقيقة أصلية، وتستجيب لحاجة دينية عميقة، وتطلعات أخلاقية وواجبات، وأوامر على المستوى الاجتماعي، بل وحتى متطلبات عملية في الحضارات البدائية، تملأ الأسطورة وظيفة لا غنى عنها تفسر وتبرر وتقنن المعتقدات، تحامي عن المبادئ الأخلاقية وتفرضها، تضمن فعالية الاحتفالات الطقسية وتنتج قواعد عملية لاستعمال الإنسان"(محمد الخطيب، دت، ص 194).

وقد اعتبر الأسطورة تلعب دورا كبيرا على الصعيد الفني، حيث يقول: " من هذا كلّه أريد أن أثبت أنّ نشأة الأسطورة تكون بدافع حضاري، ولكن ليس معنى هذا أن نتغاضى عن الجانب الفني فيها، إنّ

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الأسطورة تنطوي في داخلها على بذور لملحمة المستقبل، وعلى بذور القصّة والمسرحية، وقد استخدم رجال الفن الأسطورة أروع استخدام " (أرنست كاسيرر، 1975م،ص73)

فالأسطورة مكون جوهري في الحضارة الإنسانية، ليست خيالا بل حقيقة قائمة بذاتها يلجا إليها الإنسان لتعينه على كشف حقيقة معنى الطقوس والأعمال التي يؤديها على الصعيد الأخلاقي، وبيان الأسلوب الذي ينبغي عليه أداؤه به.

4- الأنثروبولوجية البنيوية:

ويمثلها ليفي شتراوس (Claude Lévi- Strauss):

ظهرت البنيوية ضدّ التاريخية، من أهم مبادئها البناء والنسق، أهم روادها كلود ليفي شتراوس الذي صرّح في كتابه (مداريات حزينة) الصادر سنة 1955م [كيف صرت إثنوغرافيا؟] أنّ الثقافة هي " مجموعة أنساق رمزية تتصدرها اللّغة وقواعد التزاوج والعلاقات الاقتصادية والفن والعلم والدين، كلّ هذه الأنساق تهدف إلى التعبير عن بعض أوجه الحقيقة الطبيعية والحقيقة الاجتماعية، وأكثر من ذلك التعبير عن العلاقات التي تربط بها كل من هاتين الحقيقتين بالثانية، وتلك التي تربط بها الأنساق الرمزية ذاتها بعضها ببعض "(كلود ليفي شتراوس، 2003م، ص56).

شرح ليفي شتراوس أركان المنهج التحليلي للأنثروبولوجيا البنيوية من خلال تناوله لتطبيقات هذا المنهج في عدد من الميادين الرئيسية للأنثروبولوجيا كـ : اللغة ، القرابة، التنظيم الاجتماعي ، الفن ، الدين السحر والبناء الاجتماعي.

ومنه استطاع ليفي شتراوس أن يشمل مقاربته الأنثروبولوجية تحليلات في اللسانيات وفلسفة اللغة والحياة الاجتماعية والدينية في دراسة شاملة للبنية الاجتماعية، وكان له الأثر الأكبر في تطور الدراسات اللغوية، وخاصة فيما يتعلق بالعلاقات المتبادلة بين الفكر واللغة والحياة الاجتماعية والثقافية، ويتضح ذلك جلياً في دراسة شتراوس للأسطورة.

بتأثير دي سوسير حاول شتراوس كشف التماثل بين اللغة والأسطورة، فتعدّد الأساطير في كل العصور والأمكنة هو تكرار لمجموعة من الارتباطات في كل الروايات الأسطورية، وتعدّد النصوص اللغوية هو كذلك يمثل توافقاً لمجموعة من العناصر اللغوية المحددة، يقول شتراوس: " الأسطورة تشير دائما إلى وقائع يزعم أنّها حدثت منذ زمن بعيد، لكن النمط الذي تصفه يكون بلا زمن (Timeless)، فهو يفسر

الحاضر والماضي وكذلك المستقبل، وجوهر الأسطورة لا يكمن في أسلوبها أو موسيقاها أو في بنيتها ولكن في القصّة التي تحكيها، فالأسطورة لغة يتمّ تنشيطها عند مستوى مرتفع بشكل خاص وتتابع فيه المعاني بشكل يجعل الخلفية اللّغوية لها في حالة حركة دائمة " (كلود ليفي شتراوس ، 1986م، ص6)، ويؤكّد شتراوس أنّ تحليل الأساطير يكشف عن العلاقات الأساسية بين أبنيتها بالكيفية التي ينبثق بها الفكر اللاواعي في الوعي، خلال عملية التحليل النّفسي، ولذلك يغدو الكشف عن هذه الأبنية نوعا من أنواع التحليل النفسي الثقافي (كلود ليفي شتراوس،1986م ، ص9).

يؤكد ليفي شتراوس على أن الأسطورة تشتمل على مرجع زمني ثالث يضم خصائص الزمنين السابقين (التزامني أو المتأني والتتابعي أو المتتالي) فالأسطورة تشير دائما إلى وقائع يزعم أنها حدثت منذ زمن بعيد، لكن النمط الذي تصفه يكون **بلا زمن** فهو يفسر الحاضر والماضي وكذلك المستقبل وهو تخريج يصبّ في القدسية الدينية ، وجوهر الأسطورة لا يكمن في أسلوبها، أو موسيقاها أو في بنيتها ولكن في القصة التي تحكيها، فالأسطورة لغة تم تنشيطها عند مستوى مرتفع بشكل خاص وتتابع فيه معاني بشكل يجعل الخلفية اللغوية لها في حالة حركة دائماً.

طوَّر شتراوس فرضًا بهذا الخصوص نقله من علوم اللغويات، يقول أن الوحدة اللغوية تتركب من جزئين: الصوت، والمعنى الموسيقى هي تعبير عن الجنوح اللغوي نحو الصوت الخالص، بينما تتجه الأسطورة في الاتجاه المقابل نحو المعنى المجرد.

ومن خلال عدد هائل من الأساطير التي تخص المجتمعات البدائية إذ سعى من خلال مناقشتها إثبات ما أتى على ذكره في " العقل الوحشي: من وجود نمط بنيوي عالمي للعقل بغض النظر عن شكل التنوعات العرقية أو الثقافية التي ينتمي إليها هذا العقل.

قد يكون من اليسير أن نفترض أن الغاية الوظيفية التي تؤديها الأسطورة هي ضمان الاستمرارية الثقافية في التعبير عن مختلف المشاكل الاجتماعية والإنسانية أو حتى كنوع مختلف من الكتابة التاريخية. على الرغم من ذلك، تبقى الأسطورة في مساحة اللغة المرمزة والمجازية وشديدة الاختزال، تغطي المعنى الأصلي بطبقات كثيفة من الرموز والدلالات. لا يصبح من المنطقي في هذه الحالة أن تقرأ الأسطورة كنص مباشر، وإلا اعتبرناها ضربًا من الجنون أو العبث أو الخرافية.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

يزعم شتراوس أن الإنسان الأسطوري كان أكثر طموحًا في استخدامه لملكاته العقلية، أي ساد عنده الظن أن بإمكانه تفسير كل شيء في العالم ابتداء من الكون إلى تحقيق غرائزه ورغباته الأصلية، لهذا ساد الاختزال والمجاز في ظواهره الثقافية

والأسطورة بهذا المعنى مرتبطة بكل ما هو مقدس وتسعى إلى تفسير ما ينسجه خيال المجتمع الشعبي كما أدت دورا فكريا عقائديا في فترة كان الإنسان في حاجة ماسة لها ثم تراجعت بعد ذلك، وفي الفترة التي فقدت فيها وظيفتها الطقوسية خرجت من المعابد والمسارح إلى إبداعات الأدباء والقصاصين فتحولت إلى حكاية دنيوية أصبحت تنتمي إلى نوع شبيه بالأسطورة أي الحكاية الخرافية أو القصة البطولية (أحمد زغب، 2008، ص 14).

5– الأنثروبولوجية التأويلية:

سنأخذ نموذج كيلفورد غيتز(Clifford Gerttez)

ظهر هذا الاتجاه مع الأنثروبولوجيون الأمريكان في سبعينيات القرن الماضي، يُعرف بـ [الإثنوغرافيا الجديدة] استفادت من الدراسات اللسانية والأدبية والنّصية خاصة في تحليل الخطاب التداولي من حيث إنتاج المعاني والدلالات حيث الاعتناء بالمعنى والدلالة أهم من النظام والبنية، وهو ما يندرج في البحوث السيميائية.

تعدّ السيميائيات مجالاً للتفسير والفهم باعتبارها منهجا لإنتاج المعنى أين أصبحت المركزية للمحمول المعنوي وكفاءة التواصل وكيفياته وكان لهذا المنهج المعرفي التأثير الكبير في الحقل الأنثروبولوجي من حيث الاهتمام بالمعنى والدلالة في جميع الأنساق والأجهزة الدلائلية التواصلية الاجتماعية والثقافية والدينية واللّغوية وبداياته كانت مع مؤسس السيميائيات الفيلسوف الأمريكي (شارل ساندرس بيرس) .

إثنوغرافيا الكلام أصبحت تُعرف أيضا بـ [الأنثروبولوجيا التأويلية] و [الأنثروبولوجيا الثقافية] و [تأويل الثقافات]؛ فعدّت الثقافة نصّا تداوليا سيميائيا ناتج عن التواصل فالرموز " التي تشكل أي ثقافة هي وسائل لتوصيل المفاهيم، كما أنّ الثقافة هي التي توفر الجانب الفكري في العملية الاجتماعية، لكن الفرضيات الثقافية الرمزية تصطلح بما يفوق مجرد الإفصاح عمّا عليه العالم فهي تقدّم أيضا قواعد إرشادية للعمل في هذا العالم، فتوفر الفرضيات الثقافية كلاً من النماذج لمل تؤكد أنّه واقع، وأنماط السلوك. ومن قبيل العمل كمرشد للسلوك فإنّها تدخل في الفعل الاجتماعي " (آدم كوبر، 2008م، ص114).

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

يعدّ كيلفورد غيرتز (2006م) من أشهر الإثنوغرافيين الجدد في العالم، وقد ساعده تكوينه السيميائي ضمن الفضاء الفكري للتداوليات والتواصل الرمزي الفينومينولوجي من تقديم تصوره للثقافة بأنها ذات معنى سيميائي وأنّها شبكة من الرموز وعمل الأنثربولوجي هو عمل تأويلي بالبحث عن المعنى " وهكذا فأنا ابحث عن الشرح؛ شرح التعبيرات الاجتماعية وإجلاء غوامضها على السطح " (كيلفورد غيرتز، 2009م، ص 82).

لقد كان مفهوم الاشتغال التدلالي للعلامات (Sémiosis) المرجعية القاعدية في النظر لأنظمة التواصل بما فيها الثقافة بجميع موادها، واستخدمت في هذا (نظرية الفعل) كما صاغها بول ريكور على نطاق واسع، وهو ما جعل غيرتز والتأويليين الرمزيين يفضلون المعنى " ويبحثون عنه، ففي نظرهم لا يهتم الإثنوغرافي بما يفعله الأفراد قدر اهتمامه بمعنى ما يفعلونه " (آدم كوبر، 2008م، ص120).

لقد انتبه غيرتز إلى أنّ الثقافة توجد عمليا وتوصف لغويا، فهي تنتقل عبر الباحث الأنثروبولوجي من حالة تحققها في فعل الأداء و الإنجاز العملي إلى حالة تنصيصها وتأليفها في نص لغوي، فكما تتعالق رموز اللغة تتعالق رموز الثقافة، إذن الحديث عن تأويل الثقافات معناه الوصف الكثيف العميق، " عن شبكة الرموز، عن الكتابة والنّص والمعنى والفهم والتأويل والبعد الثقافي للتحليل، عن النسق الثقافي، عن الأشكال الرمزية والعالم المتخيّل، روح الجماعة، عالم الحياة اليومية، عن الثقافة باعتبارها نصّاً " (زكرياء إبراهيم، 2016م، ص3).

هناك دور كبير تلعبه المعاني في بناء المعرفة الأنثروبولوجية بالدين؛ لذلك فإنّ التعريف الذي يقترحه غيرتز للدين باعتباره " نظام من الرموز يعمل من أجل إقامة حالات نفسية وحوافز كلية ودائمة في الناس عن طريق صياغة مفاهيم عن النظام العام للوجود، وإضفاء هالة من الواقعية على هذه المفهومات بحيث تبدو الحالات النفسية والحوافز الواقعية بشكل فريد "(غيرتز، ص223).

إنّ مقاربة غيرتز للدين تهدف إلى الكشف عن نظام الرموز والمفاهيم والمعاني الدينية ودورها في تشكل الوقائع سواء كانت دينية أو سياسية أو اجتماعية أو فنية.

إنّ الحديث عن الدين عند غيرتز لا يخرج في كليته عن مقدمتين أساسيتين:

- ✓ فكرة التأويل مبدأ أساسي للفهم وتأسيس المعاني يسميه البراديغم التأويلي ويستند للمقاربة الفينومولوجية.

- ✓ مكانة الدين في الحياة الاجتماعية باعتباره نسقا أو نظاما ثقافيا مؤثرا في بناء الأنساق الاجتماعية.

يقول كليفورد غيرتز: " إنّ روح الجماعة لدى شعب من الشعوب هي الجو العام والخاصية التي تطبع حياة النّاس في ذلك الشعب، وهي أسلوب هذا الشّعب فيما يتعلّق بالأخلاق والذوق الجمالي والمزاج العام، بل هي موقفهم الأساسي تجاه انفسهم واتجاه العالم كما ينعكس ذلك في الحياة. أمّا نظرتهم إلى العالم فهي الصورة التي تتكوّن لديهم عن الشياء كما هي في الواقع المحض، هي مفهومهم عن الطبيعةن عن الذات، عن المجتمع وهي تحوي أكثر ما لديهم من الأفكار شمولا عن النظام " (كيلفورد غيرتز، 2009م ، ص290).

تعتبر الثقافة الدينية أهم عنصر يشكّل الوعي الإنساني من خلال آليتين أساسيتين هما : آلية التنميط من خلال مجموع الرموز التي تتحوّل إلى مجالات ومفاعيل للمعنى والفهم والتواصل والتبادل، يتقاسمها الأفراد من أجل تنظيم حياتهم المشتركة، وتشكيل نظرتهم للكون وآلية الضبط؛ التي بدونها تتحوّل سلوكات الأفراد إلى ما يسمّيه غيرتز [الفوضى العارمة] التي لا طائل منها. (كيلفورد غيرتز، 2009م، ص152) .

رابعا: السياق الثقافي والاجتماعي في إثنوغرافيا الكلام:

1- اللغة والسلطة والتمييز الاجتماعي:

" الحقل الذي بدت فيه اللغويات الأنثروبولوجية أكثر ما عليه من الإنتاج والإبداع في السنوات الأخيرة هو حقل **أثنوغرافية الكلام**. فقد تركز الاهتمام على كفاءة الأفراد وأدائهم التواصلي وأشكال الكلام في التفاعل الاجتماعي. ولاهتمامهم الشديد في معرفة جوهر السلوك التواصلي، فقد سبر علماء الأنثروبولوجية طبيعة اللغة وتعريفها: لقد فحصوا عروض الأجناس غير – البشرية التي ترمز الرسائل و المعلومات السلوكية، وقارنوا بين أفعالهم المرمزة التي درست رسمياً بشكلٍ متصاعد في محاولة لتقييم المكان المناسب للغة الإنسانية في المقياس التطوري " (إيدجر س بلوم،(د،ت)، ص674).

فيما تتناول اللسانيات الأنثروبولوجية في هذا القسم قضايا أكثر عمقاً داخل بنية المجتمعات اللغوية القائمة بالفعل، مثل النوع الدين والعرق والقومية والسلطة والهوية، وذلك بفحص ودراسة الأبعاد المختلفة لأنماط التمييز الاجتماعي واللغوي وعدم المساواة داخل مجتمعات بعينها، وكيف يرتبط كل منها بالآخر، فتتناول مثلاً قضية الفروق اللغوية بين الرجل والمرأة وتناقش وتحلل بعض الأفكار السائدة حول طرائق الكلام لدى الرجال والنساء من خلال الحوارات اليومية العادية بين الرجال والنساء، وتكرس جزءاً كبيراً لتفنيد بعض

الخرافات الشائعة نتيجة الاستسهال والتسطيح وعدم الدقة، وتقول إن أكثر ما يميز العلاقة بين اللغة والنوع هو التركيب والتنوع ثم تتعرض لقضية التمييز والاختلاف العرقي وعلاقتها باللغة والممارسات اللغوية، وذلك من خلال حالة الأمريكيين من أصول أفريقية، كما اهتمت بمساهمة الدين في تشييد المفاهيم وبناء التصورات والأنساق الثقافية والاجتماعية .

اهتمت إثنوغرافية الكلام بدراسة شكل الكلام وهيئة المتكلم؛ وقد اقترحت شيلفن Scheflen عدة نماذج من التخاطب غير الكلامي لتعريف(إيدجر س بلوم،(د،ت)، ص676):

(أ) الوظائف التركيبية/النحوية – المصاحبة الموجودة، وبالتحديد، تقسيم تدفق الكلام بأفعال ليست نطقية، وتزامن الأنماط المتنوعة في السلوك التخاطبي.

(ب) الوظائف البراغماتية المصاحبة، مثل التعبير عن العواطف الإنسانية، وردود الفعل بالنسبة للألفاظ، وتصرف المتكلم الآخر.

(ت) وظائف الحوار، بما في ذلك تنظيم سير المحادثة والعلاقة مع المتكلم الآخر (وبالتحديد الفورية أو البديهية، الاسترخاء، والاستجابة.

لقد اهتمت إثنوغرافية الكلام بعدة عناصر مهمّة جدّا حاليا في لسانيات الخطاب نوجزها فيما يلي:

- **الاهتمام بسمات أنماط الكلام الرمزية والفنية**، وخصوصاً في الكلام الرسمي والشعائري الديني بالإضافة إلى الاستراتيجيات التي يلجأُ إليها في السلوك التواصلي وجهاً لوجه. ويمكن لأساليب الكلام، والاستراتيجيات والعادات الكلامية أن تتنوع بشكلٍ كبير في الأداء الفعلي، ويعتمد ذلك على المواضيع الثقافية والاجتماعية المطروحة.
- **دلالية العلاقات الاجتماعية والأشكال الكلامية**، إنّ التحديد اللغوي للمكانة الاجتماعية وسمات أخرى ذات أهمية أنثروبولوجية ومعجمية في الحين نفسه؛ فإطلاق اسم علم على شخص ذو بعد ثقافي أنثربولوجي، له علاقة بسمات فيزيائية أو نفسية أو اجتماعية [رغد: العيشة الهنية المشرفة والمترفة بُعد اجتماعي] ، [رهف: المشبعة بالأحاسيس بُعد نفسي] [هُمام: الفارس الشجاع بُعد ثقافي]، [محمد: بُعد شعائري ديني]، [حسناء: بُعد جمالي شكلي فيزيائي].
- **اللغة هامة للتفاعل الاجتماعي، تزودنا بمعلومات عن المتكلمين وأخلاقهم**، ويتعلق بشكلٍ أوثق بعلم اللهجات والجغرافية اللغوية، والسن، والجنس، والدور المهني، وعضوية مجموعة ما والمكانة

الاجتماعية، وهذه جميعها من اختصاص اللسانيات الأنثروبولوجية والاجتماعية؛ مثلا التسميات المعجمية التي تعكس بعض مظاهر التفاعل والصراع العرقي مثل كلمة [indigène: مواطن من الدرجة الثانية]، [مُهاجر، حرّاق]، [nigro: لأسود البشرة]،[mongole : لمريض متلازمة داون]، [covid19: فيروس الصين]. إنّ هذه الكلمات تبعث الحقد والكراهية ضمن مجموعات محددة ذات ثقافة، وتزيد المسافة الاجتماعية التي مبعثها التمحور العرقي.

- **الولاء اللغوي والاستخدام اللغوي الحقيقي؛** فالصدام الثقافي يظهر جليا في الهوية الاجتماعية واللّغوية، في حين أنّ الاندماج اللّغوي يؤدي إلى المثاقفة اللّغوية [القرض اللّغوي] وانتقال بعض الكلمات بين الثقافات، مثلا اللّغة العربية الفصيحة واللّهجات، أغلب مستخدمي اللغة ولاؤهم للفصيح واستعمالهم اليومي يندرج ضمن اللّهجات، أمّا الصراع اللّغوي فمثله مثل الصراع الديني يعبّر عن الهوية الثقافية .
- **البحث في التنوع الموجود في التجمعات الكلامية واستراتيجيات التخاطب؛** والمواقف من التنوع اللغوي واللغة والمحيط هي من اختصاص اللغويات الاجتماعية والأنثروبوولوجية الاجتماعية، ويقع ضمن نطاق اللغويات الأنثربوولوجية، مثلا دراسة اللغة والخرافة والمعتقدات الدينية عند اليونانيين مستمدٌ دائما من منجزاتهم الأدبية الملحمية والمسرحية ممثلة في الأساطير القديمة.

2- بين اللغة والثقافة:

على ما يبدو أن المدارس الأنثروبولوجية لا تختص فقط بدراسة المجتمعات البدائية والطقوس الدينية والعادات التي تهيمن على المجتمعات الشفاهية أو المجتمعات الأمية، بل كذلك لم تتخل عن دراسة المجتمعات المعاصرة التي هي أيضاً تقوم على البنية الاجتماعية في صياغة لغتها وثقافتها وانتماءاتها القومية ودعواتها العرقية. إذن الأنثروبولوجيا تدرس ثقافة الشعوب ككل والتعرف على لغاتها وسلوكها وعاداتها وأديانها وعلاقات القربى بينها ودراسة بنيتها الاجتماعية والثقافية على أساس التكامل بين الفرد ومجتمعه.

وكثيراً ما يطرح مفهوم الثقافة بوصفه تجريداً وصفياً لشكل من أشكال النشاط الإبداعي واللغوي والديني الذي حشره النقاد في خانات تتوزع بين فروع الآداب والفنون والديانات المختلفة، غير أن مثل هذا التوزيع على أهميته الشكلية، يجب أن لا ينسينا الأعمدة الرئيسية لأصل التطور الثقافي بوصفه أحد علامات التطور الحضاري البشري برمته، بل قل هو صورة من صور هذا التطور الذي يدين لعلم الأنثروبولوجيا

بكشف الكثير من عناصره الأولى، والأنثروبولوجيا كما توصف هي علم الأمم المتحضرة الذي يبحث عن البذور البدائية للحضارة البشرية، ويذهب عميقاً في النفس البشرية بحثاً عن طبيعة مشتركة بين الإنسان والإنسان، وبين الإنسان والطبيعة في المقام الأول، وأوّل ما درسه الأنثروبولوجيون من أدب شفاهي هو الأساطير التي تعتبر جزءاً من المعتقدات والفلكلور الثقافي الشعبي.

لقد نقلت الأنثروبولوجيا الفكر من عالم الأساطير إلى عالم الواقع؛ فالبدائي يفكر في شكل رموز، وأن بداية اللغة عنده كانت مرتبطة بالاستعارة، فاللغة هي قاموس الروح، وقد تعاونت رموزها واستعاراتها على خلق الأساطير والملاحم العجيبة.

ومنه الأدب هو المجتمع والمجتمع هو اللسان، واللسان هو خطاب مصنوع من جهات متعددة تؤسس دلالاته ومعانيه، ولا بد من النظر إلى كل خطاب إبداعي أو اجتماعي بالتفاعل بين لغته ومنتجه، ولا نكتفي بالنظر إلى اللغة بعيداً عن واقعه النفسي والاجتماعي المتمثل بالبيئة أو المنتج. أي مرجعياته الأيديولوجية واللاهوتية وليس عن تفاعله البيني.

يرى أصحاب الأنثروبولوجيا الدلالية أنّ السلوك اللّغوي يُظهر صاحبه بأنّه حامل لنمط معيّن من أنماط الثقافة فمن خلال لغة الفرد نتعرّف على مستواه الثقافي (ميلكا افيتش،2000م،ص297)، حيث " الثقافة واللّغة كلتيهما تلعبان دورا مهما في تكوين المجتمعات الإنسانية أو التجمعات العرقية المتميّزة" (محمد محمد داود، 2001م، ص93) و " النمط الثقافي لأيّ مجموعة بشرية يرتبط ـ لا محالة ـ باللّغة المميّزة لتلك الجماعة " (نور الهدى لوشن، 2001م، ص161).

نستحضر في هذا المقام تلك البحوث التي درست التطور البشري في ضوء ما وفرته الأنثروبولوجيا، وهي التي أسهمت في تشكيل الفكر المعاصر، وحررت العقل من المذهبيات العنصرية والشوفينيات العرقية، بل سعت إلى ربط الإنسان بالطبيعة، وهو يتأمل في مسيرة الكون، ويتابع اليوم الإنجازات والنقلات الحضارية والصناعية والتقنية التي تدين لهذا العلم بالشيء الكثير.

وخلاصة لما سبق" اللّغة ترتبط ارتباطا وثيقا بالثقافة، وهي العامل الأساسي الذي تقوم عليه العلاقات داخل المجتمع، كما أنّها الوسيلة التي تنقل لنا الثقافات المختلفة عبر الأجيال " (نور الهدى لوشن،2001م، ص162). إنّ علاقة الثقافة باللّغة الطبيعية والمجتمع واضحة بيّنة؛ فاللّغة تحدد نظرة

المجتمع إلى العالم المحيط بالإنسان بما فيه من ثقافة لها انعكاساتها على طريقة تفكير أفراد المجتمع الذين يتكلمون لغة واحدة (نور الهدى لوشن، 2001م، ص161).

أما على مستوى العلاقة بين اللغة والفكر والثقافة، يؤكد العاملون في مجال الأنثروبولوجيا اللغوية في الوقت الحالي أن تأثير الفكر والثقافة في اللغة هي أنها تجعل الإنسان يميل أو ينزع إلى رؤية معينة للعالم، أو لديه قابلية واستعدادا أكبر لهذه الرؤية من غيرها، ولكنه ليس تأثيراً حتمياً، أي أن اللغة لا تفرض هذه الرؤية دون غيرها، إن اللغة التي تتكلمها قد تجعلك أكثير ميلاً واستعداداً لرؤية العالم بطريقة معينة لكنها لن تمنعك من رفض هذه الرؤية أو تغييرها.

خاتمة:

لعلّ أهمّ ما قدّمته إثنوغرافيا الكلام/ التواصل في الدراسات اللسانية الأنثروبولوجية مفهوم (المجتمعات التأويلية) والتي تكون حاصل الانتماء إلى فضاء لغوي ترميزي موحد السيرورات، وتبادلي تواصلي بالمعنى الثقافي تكون فيه المؤولات شارطة للتواصل ومحققة للفهم.

لقد سمح الطرح السيميائي بمقاربة إثنوغرافية للتواصل تكون في إمكانها الأخذ بمفهوم مدمج للثقافة من خلال الاتجاهات التي صاغت حدوده، ويصبح ما طرح من مختلف مفهومي حسب الاتجاهات الأنثروبولوجية مركّبا تعريفيّا لها، مع الوعي المنهجي بمحورية الرمزية والنّصية والدينية من حيث هي أقطاب السيرورة التدلالية لعناصر الثقافة في تحقّقها التداولي التواصلي.

يمكن أن نوجز علاقة الثقافة باللّغة والدين في العناصر التالية:

- ❖ الثقافة صناعة للرموز التواصلية لها مرجعيات تداولية تواضع من خلال إنتاجها أفراد جماعة ما، واشتركوا في دلالتها الجوهرية وحقّقوا فاعليتها عبر استعمالهم لها.
- ❖ الثقافة ذات طابع وظيفي عضوي تزامني في المجتمع الذي توجد فيه، وهي متشابكة تستجيب للحاجات الأساسية للأفراد الموجودين في اجتماع مشترك.
- ❖ الثقافة ذات بناء وهيكل تشييدي، يعبّر عن نظام تتبعه في إنجاز موادها وعناصرها وهذا النظام هو بنية مجرّدة لتحقّقاتها.
- ❖ الثقافة شاملة وكليّة، بشكل يمتد إلى جميع ما يعيشه أفرادها بداية من لغة ودين ومعارف وفنون وعادات وتقاليد متراكمة ومتوارثة نسبيا.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

❖ الثقافة سمات وأنماط متغيّرة تقوم على نظام من الرموز والمعاني والمفهومات، التي يعتمدها النّاس في معرفة الحياة وصياغة تصوراتهم ومواقفهم منها وحولها.

قائمة المراجع:

1. أحمد عبد الحافظ: الدولة والجماعات العرقية، دراسة مقارنة للسياسة الروسية تجاه الشيشانوتتارستان (1991 –2000)، القاهرة (مصر)، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، 2005م.
2. افيتش ميلكا: اتجاهات البحث اللّساني، تر: سعيد عبد العزيز مصلوح، وفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة (مصر)، ط2، 2000م.
3. باغورة الزواوي: المنهج البنيوي (بحث في الأصول والمبادئ والتطبيقات)، دار الهدى، الجزائر، ط1، 2001م.
4. بغدادي عبد السلام إبراهيم ، الوحدة الوطنية ومشكلة الأقليات في إفريقيا ، مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت (لبنان)، ط1 ، 1993م.
5. بلوم إيدجر س: اللغة والسلوك (اللغويات الأنثروبولوجية)، (د،ت)(كتاب إلكتروني).
6. بوجمعة رضوان: أشكال الاتصال التقليدية في منطقة القبائل –محاولة تحليل أنثروبولوجي– أطروحة دكتوراه في الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، الموسم الجامعي 2006-2007.
7. جبارة محمد جاسم: الأنثروبولوجيا بين دي سوسير وحوارييه، مجلة سرّ من رأي، العراق، المجلد 13، العدد11، آذار 2016.
8. الجوهري محمد: الأنثروبولوجيا (أسس نظرية وتطبيقات عملية)، مطابع سجل العرب، القاهرة (مصر)، سلسلة علم الاجتماع المعاصر، ط1، 1980م.
9. جاك لومبار: مدخل إلى الإثنولوجيا، تر: حسن قبيسي، المركز الثقافي العربي، بيروت (لبنان)، ط1، 1997م.
10. حباشة صابر: التداولية والحجاج (مداخل ونصوص)، صفحات للدرسات والنشر، دمشق(سوريا)، ط1، 2008م.
11. حسام الدين كريم زكي: اللغة والثقافة العربية (دراسة النثر ولغوية الألفاظ وعلاقات القرابة في الثقافة العربية)، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة (مصر)، ط2، 2001م.
12. حنا سامي عياد وآخران: معجم اللسانيات الحديثة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت (لبنان)، (د،ط)، 1997م.
13. الخطيب محمد: الإثنولوجيا، دراسة عن المجتمعات البدائية، دار علاء الدين للنشر والتوزيع، دمشق (سوريا)، (د،ت).
14. داود محمد محمد: العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د،ط)، 2001م.
15. زغب أحمد: الأدب الشعبي ـ الدرس والتطبيق ـ مطبعة مزوار، الوادي (الجزائر)، ط1، 2008م

16. زكريا ميشال: الألسنية المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت (لبنان)، (د،ط)، 1983م .

17. سامبسون جيفري: المدارس اللغوية (التطور والصراع)، تر: أحمد نعيم الكراعين، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت (لبنان)، ط1، 1993م.

18. السعران محمود: علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، دار الفكر العربي، القاهرة (مصر)، ط2، 1997م.

19. سليم شاكر مصطفى: قاموس النثروبولوجيا (إنجليزي عربي)، جامعة الكويت، ط1، 1981م.

20. السيد محمود أحمد: اللّسانيات وتعليم اللغة، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة (تونس)، ط1، 1998م.

21. شتراوس كلود ليفي: الأسطورة والمعنى، تر: شاكر عبد الحميد، بغداد (العراق)، ط1، 1986م.

22. شتراوس كلود ليفي: الإناسة البنيانية، تر: حسن قبيسي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1995م.

23. شتراوس كلود ليفي: مداريات حزينة، تر: محمد صبح، دار كنعان للدراسات والنشر والخدمات الإعلامية، دمشق(سوريا)، ط1، 2003م،

24. عضاضي محمد: كتاب أساليب لتحليل الخطاب – ديبرا شيفرين، مجلة المبتعث، الملحقة الثقافية السعودية واشنطن و م أ، العدد161، أفريل 1995.

25. عياد علية عزت: معجم المصطلحات اللغوية والأدبية، المكتبة الأكاديمية، القاهرة (مصر)، (د،ط)، 1994م.

26. الغامدي سعد: مقدمة كتاب: أرنيست كاسيرر: اللّغة والأسطورة، تر: سعد الغامدي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث كلمة، أبو ظبي (إ ع م)، ط1، 2009.

27. غيرتز كليفورد: تأويل الثقافات، تر: محمد بردوي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت (لبنان)، ط1، 2009م.

28. كاسيرر أرنست: الدولة والأسطورة، تر:أحمد حمدي محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة(مصر)، ط1، 1975م.

29. كاسيرر أرنيست: اللّغة والأسطورة، تر: سعد الغامدي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث كلمة، أبو ظبي (إ ع م) ، ط1، 2009.

30. كرش دنس: مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، تر: منير سعداني، المنطمة العربية للترجمة، بيروت (لبنان)،ط1 ،1981.

31. كوبر آدم: الثقافة (التفسير الأنثروبولوجي) تر: تراجي فتحي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت، (د،ط)، 2008م.

32. لاينز جون: علم الدلالة، الفصلان التاسع والعاشر من كتاب: مقدمة في علم اللغة النظري1968، تر: مجيد عبدالحليم الماشطة ، حليم حسين فالح ، كاظم حسين باقر، جامعة البصرة (العراق)، (د، ط)، 1980م.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

33. لوشن نور الهدى: مباحث في علم اللّغة ومناهج البحث اللّغوي، المكتبة الجامعية، القاهرة (مصر)، (د، ط)،2001م.

34. مارشال جوردن: موسوعة علم الاجتماع، المجلد الأول، تر: محمد الجوهري وآخرين، المجلس الأعلى للثقافة المشروع القومي للترجمة، القاهرة (مصر)، ط2، 2007م، مادة (الأنثروبولوجيا الاجتماعية).

35. مدكور إبراهيم وآخرون: المعجم الفلسفي (مجمع اللغة العربية في مصر)، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة (مصر)، (د،ط)، 1983م، مادة (أنثروبولوجيا).

36. مروخ فؤاد: من نقد العقل إلى هيرمينوطيقا الرموز، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت (لبنان)، ط1 ،2017م.

37. ملوك عبد القادر: اللغة والعرف والأخلاق. بيروت، لبنان، 2012م، نسخة إلكترونية.